

الفاضل من يبجل الناقد المفضول، لكن لا إلى أن تحسب رصاصنا عينا، ونحاسنا لجينا، وصفرنا عسجداً، وزبر الحديد زبرجداً، وغثنا الأحمى غضاً طرياً، وسقطات متاعنا أثاثاً ورياً، وتستعذب الملح الأجاج، وتستطرف شقفات الزجاج، ثم تعود فتعدُّ لآليك أخزافاً، ويواقيتك سفسافاً، ونفائس بضائعك من سقطات المتاع، وفرائد عوائدك ضرباً من الأجزاء، فلا أقسم بالغواني، وربات المغاني، وربات المثالث والمثاني، وأولات الخال والخلخال، والمال والجمال، والخصور الهيف، والأرداف الثقالي، ولا بالتي وقت بالعهود، وردفت للمتميم المعهود! أنك لأقوم قبلاً، وأهدى سيلاً، وأفصح لساناً، وأفصح جناناً، وأجزل يراعاً، وأطول في البلاغة باعاً، وكأني بك قد اتخذت ما زبرت من الاعتذار، وكررت من الحوقلة، والاستغفار، وصلة لقطع الرسائل عن محبيك، ووسيلة لامتناعك عن المراسلة وتأييك، لاستغراقك في قبض الرسوم، وسلخ الخصوم، إلى يوم الوقت المعلوم، حتى إذا أنعم كيسك وكأسك، وامتلاً ككفك، وفرغ رأسك، تنطق علينا أسنة الأقلام، وترجع على ما نقضته بالابرام، وترينا سود الرزايا بالافحام، كلا والذي أركى نار ذكائك، وأورى قدح علائك وبهائك، لن نبرح حتى نسمعنا كل يوم بعضاً من الأراجيز، وتشهدنا على أنك أبسط أخلاقاً من قاضي تبريز. ولا زلت مادمت راضياً، لخراسان العراق قاضياً.

٢٩

صاحب الرفعة محمد بك إذ رحل ولم يشعر به أحد^(١)

منذ امتطيتم النجيبات المراسيل، وعزمتم جوب الفيافي ميلاً بعد ميل، طوراً بالوخد والزميل، وتارة بالأرقال والتبغيل، فما استيقظنا إلا وقد حالت بيننا الفيافي والصحارى، وما أفقنا إلا وكافة الندامى حيارى وسكارى، وما هم بسكارى. لم أزل رافعاً أكف الدعاء إلى ناصب السماء، أن يمنحك الظفر، ويقيكم الكدر، ويرقيكم من الرفعة الى العزة والسعادة، ويهبكم بعد كل فوز حسنى وزيادة، حتى لا يذر للأصدقاء قلباً إلا وهو ممثليء سروراً، ولا للأعداء يوماً إلا وهو منقلب ليلة ديجوراً، وأن يدبم عليكم أثواب الصحة لايبلى جديدها، ويزيد في عمركم أعواماً لا يحصى عديدها، ويقر بمرآكم أعين مشتاقكم ويروي بلقياكم، أفئدة المتعطشين الى تلاقيكم، وربّي تعالى واقيةكم.

(١) من المخطوطة (٣٢٧٢٤ د. ص).

إلى والي بغداد دولتو تقي الدين باشا^(١)

حضرة ذى الدولة - أدام الله تعالى إجلاله-

صقل صفائح الأذهان، عن صدأ الأشجان، أن قد حَلِي، فزَنَدُ ذلك الجوهر الفرد
يَجْلِي الوزارة، وتفرَّعت أغصان السول، وأورقت بحصول المأمول، أن قد تَأَصَّلَتْ في
تلك الذات العريقة السؤدد وما استحقَّها من الإمارة، فأصبحتُ - والله الحمد- شاكرًا
على هاتين البشريين اللتين شُكَّرهما على أولي الأبصار فَرَضُ عَيْن، هما نعمتان
عامتان، صحة مزاج ملك العراق، ودوام الأمن والأمان، وهناك الثالثة الأخرى تَخَصُّ
أصحاب الفضائل، وتعمُّ منهم الأواخر والأوائل، وهي عرفان المقادير، وتمييز الجليل
عن الحقير، والاعتبار بما تحويه القلوب والألسن من الحكمة والكلام، لا بما تناله
الرماح والأيدي من الثروة والحطام، هذا وإنَّ أنبوب اليراع، ليضيق عن إجراء ما يروق
من عذب الشكر، على ما جرى به قلم الباري، وأجراه خير القدر بسابق القضاء في
أوفق المجاري، فأظَلُّ فُسْطَاط الشرف الأقمعس، مَن تَفِيًّا برواق العزِّ والمجد، من أب
وجد بعد جدِّ، حتى انتهى إلى من تشرفت باستظلاله سدرة المنتهى، صلى الله عليه
وسلم.

وإني لآمل بما لحضرتيه من الأخلاق الزواهر، الموروثة كابرًا عن كابر، أن يشملني
بعواففه وأطافه، وأن يلحظني بنظر عوارفه واسعافه، وله عليَّ حسن الثناء، ومزيد
الدعاء، والأمر لمن له الأمر.

جواب عريضتنا من حضرة المولى صديق بك أفندي^(١)

أيها المبديء لكل معنى حسن، المهدي ما يُرِيح فؤاد الصديق راحة العين بالوسن،
أنت المُشار إليه في العلوم، المفرد العَلَم المعلوم، والشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها،

(١) من المخطوطة (٣٢٧٢٤ د. ص).

(١) من المخطوطة (٣٢٧٢٤ د. ص). هذا كما ترى جواب رسالة للشيخ طه، بيد أنها تتعلق به من
نواح عديدة، وتلقي الضوء على مكانة وشخصية شيخنا، لذلك أدرجناها هنا. كما تدل على
ضياح كثير من آثار الشيخ، وإلا فأين الرسالة التي هذه جوابها؟

أنت الفاضل النائل، الكامل الواصل، باستعداده الذاتي عزّة وجاهاً، وأنت البالغ بفصل الخطاب كتابه حدّ الاعجاز، وحقّ سَمِيكَ طه عليه من صلوات الصلوات، أعلاها وأغلاها، قد أبرزتَ فيما أزيّرتَ، إلينا من الكتاب الكريم، الذي تلقّيته بالترحيب والتكريم، من البلاغة آيات لم يكن الاتيان لأحد بمثلها، ولا بأقل جزء منها فضلاً عن كلها، فأمناً مع الفضلاء بفضيلة مُرسلها، وهو أنت ناسج حلّة شكلها، فكيف يجوز في شرع الانصاف نسيانك، وهذا فضلُك ثابت لدينا وشانُك؟ وحياتكم وديّ لكم هو ذلك الودّ القديم، أنا ذلك الخلّ الذي -أبدأ- لرؤيتكم أهيّم، فعليكم منّي السلام، فردّكم عندي سليم، والله سبحانه يبيّنك، ومن كل شرّ يقيك. آمين.

الرسائل المرسلّة إلى صبحي ياشا

١

إلى حضرة صاحب العطفوفة صبحي بك أفندي دام مجده

من أفضل ما منّ به الله تعالى عودُكم إلى مجلس إحكام الأحكام، واجراء العدل بين طوائف الأنام، فإنّ منافع ذلك تعمُّ العباد، وعوائده تشمل البلاد، لاتخص أرباب المساجد والمدارس، والزوايا التي لم يبق من حدودها إلا رسوم دوارس، على أن في منصبكم الأوّل من الملاحظ، ما قاله الشيرازي حافظ:

فقيه مدرسه دى مست بود وفتوى داد

كه مي حرام ولى به ز مال أوقاف است^(١)

وأسأله تعالى أن يجعل جاهكم مزيداً، ومنصبكم سعيداً. ويديم ظلّكم على مفارق الداعين، ويرعاكم بعين عنايته في كل وقت وحين. ولا زلتم مُزاداً لكم العمر، مُطاعاً لكم الأمر.

٢

إلى حضرة صاحب العطفوفة صبحي بك أفندي^(١)

قسماً بجهات فضلٍ أنت محدّدها، وباديك^(٢) التي أعدمناها ولا أعددها، وببشرك

(١) ديوان حافظ، ص ٤٧.

(١) من المخطوطة (٣٢٧٢٤ د. ص).

(٢) هكذا في الأصل، وربما الصحيح (بأيديك).

للأضياف بطيب قِراك، وبتشرك للألطفاء على النزول بذُراك، وبفضلك الذي يُنسي
 الغريب ذِكر وطنه، وبطوِّك الذي يسلي الأريب من طول محنه! إن الداعي كلما ازداد
 من ساحتك أزماناً نزوحه، إشتد إلى باحتك توقان روحه، فقد أعقبه النَّأي من حماك
 وجداً وهياماً، كما أورثه القربُ إلى ذُراك ولوعاً وغراماً. يقولون: إن النَّأي يورثُ للفتى
 سلوى، وإن القرب يَشفي من الوجد بكل تداوينا، فلم يشف ما بنا، على أن قرب الدار
 خير من البُعد، فما لي إلا أنشر ثناء طاب نشره، وخير دعاء أصاب هدف الاجابة ذِكره،
 واني الآن مكمل بما مننتم به علي من رقيمة درية، بمقتضى ما انطوت عليه تلك
 الأخلاق السرية، قبل التشريف للتفتيش، واخلاء فضاء الروم من الظلم والتشويش.
 وبهذه اليوستة قد حررت إلى مقام الصدارة، عريضة عربية العبارة، والمسؤول من
 تلك الشيم، ومن ذلك اللطف والمن والكرم، الفحص عنها في ذلك المقام، واستحصال
 مافيه من مرام. وأسأله تعالى أن يديم لكم الصحة والاقبال، ميسرين لمن ينتمي إليكم
 الآمال، ولكم الأمر.

٣

كتب الى حضرة ناظر أوقاف الهمايوني صبحي پاشا^(١)

معروض الداعي أنه:

قلب وفتت علي ولاء ذلك المولى قراره، وفوضت إلى رأيه العالي أمره واختياره،
 وعنيت من عين عناياته الدائمة ناظره، وسلّمت إليه طوعاً وورغبة عامره وغامره، وسجّلت
 ذلك في محاكم الشام والعراق. وأذعنت بصحته ولزومه أعلام علماء الآفاق، قد أهمله
 الناظر منذ أكثر من عام، وكاد أن يؤول إلى الخراب والانعدام، فأضرع إليه مُستشفعاً
 برأفته، أن يتدارك بمنشور في إبقاء عاطفته، والأمر لمن له الأمر.

٤

كتب برسمة التعزية الى حضرة صبحي پاشا بوفاة والده المرحوم عبدالرحمن سامي پاشا^(١)

ماكنت أوتر أن يمتد بي الزمن، حتى أصمى بالأدهى الأمر من المحن، من نعي مولى

(١) من المخطوطة (ج). والمخطوطة (٣٢٧٢٤) د. ص

(١) من المخطوطة (٣٢٧٢٤) د. ص.

كان هو العيش والحياة لمن قاربه الضمير، والفوز والنجاة لمن حاربه الدهر، وكان للمقلين وفراً وذخراً، وللأذنين عزاً وقدرًا، خافضاً لمنكسري القوادم جناح رحمته، باسطاً لقبضي أذيال الرجاء بساط رأفته، منجداً للتأوي في موطن الخمول، مُسعداً للمؤذن سعدُ حظّه بالأقول، مصحّباً للبشر طيب قراه، وللشكر مفعم جدواه، طيب الله ثراه، وأكرم مثواه، وجعل آخرته خيراً من أولاه، وقد تفاعل كل ودود، بجعل مرقدّه في مقام محمود، لقربه إلى مَنْ هو به موعود من الربّ المعبود، عليه الصلاة والسلام، من تلقاء خالق الأنام، وأسأل الله بقلب حزين. ولسان مبین، أن يديم أنجاله وأحفاده، ويضاعف لكل إقباله واسعاده، ولا زالت سحب رحمة الله ورضوانه، ساكبة على من فجّع كل عالم بل العالم كلّه بفقدانه، بحرمة الفاتحة.

١٧ رجب سنة ١٢٩٨ موصل

٥

الى حضرة صبحي پاشا دام إقباله^(١)

معروض الداعي لدى حضرة الملاذ الأجل، أدام الله اعتزاز المعالي بالانحياز إلى حوزة علاه، وتباهى المفاخر بالتناجى في زواهر جواهر حُلاه، أنه إنني - وان نكص حظي على عقبه، وقال كل من كان معولي عليه - لا ألهيتك إنني عنك مشغول، حتى إن يراعي إن أتخفهم بالإبريز - وما ذلك على الله بعزيز - لم يبرزوا من أقلامهم الي رشحاً، وضربوا عني الذكر صفحاً، لم يكن ذلك ليكف كفي عن تلك الأذيال، في انهمال وابل الآمال، بما شمت من بارق الألفاظ المألوفة، بشهادة الورقة الملفوفة، وأرى تحصيل سؤلي سهلاً، فإن رأني المولى لذلك أهلاً، فعل إن شاء الله تعالى.

في ٢٦ ذي العدة سنة ١٢٩٩. موصل

٦

إلى من تشرفت به ولاية سورية الجليلة ذي الدولة صبحي پاشا^(١)

منذ اتخذت نابلس دار القرار، وألقيت فيها عصي التسيار، وأرخت عن صهوة

(١) من المخطوطة (٣٢٧٢٤ د. ص).

(١) من المخطوطة (٣٢٧٢٤ د. ص).

الصقلاوية لبد الحِلِّ والارتحال، وأرحت أديم الأرض عن الفرى بالسنايك والمناسم والنعال، لم أزل أستجلب من قاطبة قاطني بلقا، خالصات أدعية ييادرها حسن القبول باللقاء، لحضرة مولاي الذي أحكم أمرها وأبرم قضاءها، وأخلى عن فظاظات القاسطين فضاءها، وعالج بقانون الحكمة داءها، وعجّل وقد أشفت على الهلك شفاءها، والداعي مع صنويّ دوحته، وغصنيّ شجرته، قائم على ساق العبودية لوليّ نعمته، لايزال يدعو بالخير، ويدعوان ويكوان على استجلاب الاستجابة من الأعوان، وهما أعنى اسماعيل وعبدالمجيد يتمنيان من حضرة منعمهما المفضل طيب المزيد، وأن يفوزا من نعمكم المأنوسة، بتدريس أدرنة أو بروسة، فإن تفضل عليهما المولى، فهما أحق مني بالاحسان وأولى، فإنهما أكثر مني في مجاري عادة الباري بقاء، وأوفر دعاءً وثناءً. والأمر لمن له الأمر.

في ١٣ ربيع الاول سنة ١٢٨٩ في نابلس.

٧

كتب إلى حضرة صبحي باشا^(١)

أروني من يدانيكم سجاحة كرم، أو يساويكم رجاحة همم، أو يماثلكم فخامة قدر، أو يشابهكم جسامة فخر، أو يشاكلكم رصانة حلم، أو يجانسكم مكانة علم، أو يحاذيكم رعاية للنزول، أو يوازيكم حمايةً للدخيل؟ ثم ردوا من عمري ما انصرف من أعوامه، وانقضى من شهوره وأيامه، في انتسابي وانتمائي إليكم، وحمدي وثنائي لكم وعليكم، ووقفي على سقاية البيت من مديحك مجاري أقلامي، وعلى رعاية الفقرة من ثنائكم حواصل أفكارني وأفهامي، ثم اسلبوا عني ما جُبلت عليه من شيممة الوفاء، أو أنسوني ما غمرتموني به من النعم والآلاء، فإن تحققت تلك الحالات، وتحصلت تلك المحالات، بأن وجدتم عنكم بديلاً، يكون لي مولى جليلاً، واتخذت إليه سبيلاً، فافعلوا ما شئتم في أمري، واضربوا صفحاً عن ذكري، ولا ترقموا جوابي إن أملت أقلامي، ولا تأخذوا بيدي إن زلت أقدامي، كما شاهدته منذ عامين، وقد أمرت أطمع عمري بلامين، والأفأعيديوا ماعودتمونا به من الكرم، وأزيلوا بإشراق اللطف ما أحاط به من الظلم. هذا

(١) من المخطوطة (٣٢٧٢٤ د. ص).

والداعي لا يحتمي إلا بحماكم، ولا يعرف فضيلة إلا هواكم، عبد رُق ما رُق يوماً لعتق،
لو تخلّيت عنه ما خلاكا، والأمر لمن له الأمر.

١٥ جمادى الآخرة سنة ٩٢.

٨

رحلة أدبية كتبت إلى حضرة والي سورية صبحي باشا^(١)

يوم اخترنا الترحال على المقام، وقوَّضنا بمقتضى الأمر من دمشق الشام، وقد كان الأفق متأزراً بقطع من العمام فسرنا قليلاً، ريثما جاوزنا (دمرميلاً)، حكمت السماء صباً مني بالصدود، وقلاه الخلل الودود، وكان قصاره صب المدامع، واجراء المهاجر الهوامع، حتى خُيِّل إلينا أن الغيوم تكالي، والرعود نوائح، فلن ترقلا دموع الغوادي منها ولا الروائح، ولم تزل كذلك حتى انهار جرف النهار، واتخذنا قرية (ديماس) محل القرار، إلى أن أدبر الليل، وأقلع السيل، وحالت تلك الحالة، وذرَّ قرن الغزالة، فنفرنا على أشباه الظلمان إلى قرية (جب جنين)، وبتنا على الرغم منا في قرار غير مكين، فلما لطمت يد البيضاء قفا زنجي الليل، وانهمت جيوش الحام بما جلبت من رجل وخيل، ربطنا النجاد، وأطلقنا الجياد، وأخذنا نطاء الوهاد، إلى أن وصلنا من لبنان إلى أعظم جباله وأوعرها، وأشمَّ أطواده وأكبرها، فعلوناه بهمة أعلى منه مقاماً، وأرصن فخامة وقواماً، فاندردنا منه رويدا إلى محل هو منبع أنهار صيدا، فحدانا صفاء الماء وطيب الهواء، أن نزيل هناك بعض العناء، ونتناول شهياً الغذاء، ففعلنا ماخطر، وأكلنا ما حضر، وقضينا من الاستراحة كلَّ الوطر، وارتحلنا قاصدين قرية (مزبود) بلا مخافة، طانين قميص النهار على مقدار قامة المسافة، فلما قدَّ قميصه من دُبر، أَلفينا أنفسنا بين أحجار ومُدْر. في مسلكٍ وعر بأعلى شامخ، جلموده يهوي على كَيوان، فنزلنا عن خيلنا وركوبنا أمران عند ذوي النهى مران، فما وصلنا إلى مزبود إلا بعد عثرات في ذبول الديجور، وكبوات في مهاوى الصخور، فنزلنا فيها بدار الخطيب، ذي البشر والترحيب، فبتنا تلك الليلة حتى أقبل أدبارها، وانسلخ منها نهارها، ووصلنا منها في رابعة النهار إلى (صيда) الكثيرة الرياض، الغزيرة الحياض،

(١) من المخطوطة (٣٢٧٩٤ د. ص).

السليمة السكان، الداعية إلى الاستيطان، ونزلنا بدار ذات أزهار، وماء جار، فأقمنا
شاكرين للأطاف، منتظرين لمزيد الاسعاف. والأمر لمن له الأمر.

٧ رمضان ٨٩ في صيدا.

٩

حضرة صاحب العطفة صبحي بك أفندي دام إقباله^(١)

معروض الداعي الأقل إلى حضرة الملاذ الأجل: أدام الله حضرة المولى، وأولاه ما
هو به أولى، من التمكن في المراتب المنيعة، والتصاعد إلى المعالي الرفيعة، لقد صدع
رداء الهموم الأحزان، وجلا صدأ الأشجان عن الأذهان، أن قد كفت عن أهل الحق
أكف الباطل، وتجلّى جيد الفضائل بينما هو عارٍ وعاطل، إذ قد تشرفت المعارف عن
عوارفكم بالنظارة، وعادات أعواد الكمالات بعد ذبولها إلى الرواء والنضارة، لا زالت
المعالي متسارعة إلى التشرف بذلك الجنب، ولا برحت العوارف غير مقطوعة ولا
ممنوعة عن اللانذ بتلك الأعتاب، أمين، أمين. فإن هذا الدعاء يعمّ المخلصين، والداعي
أوفاهم خلوصاً وثناءً، وأوفرهم مودةً ودعاءً، وأشدّهم لؤذاً والتجاءً، فإنني منذ فارقت
القسطنطينية، وزحزحني سوء التدبير وسوء التقدير عن جوار أطافكم السنيّة، نادماً
ندامة آدم حين أخرجته الضرار، والفرزدق إذ أبان نواراً، والكسعي لما بان له الصواب،
وقوم يونس عندما رأوا العذاب، لأسباب لو شرحتها لطال الكلام، وآل إلى الملل
والملام، فالمرجوّ والمسؤل، والمتمنى والمأمول، من حضرة مولاي وملاذي، أن يعين لي
مأمورية في المعارف، ووظيفة تفي بالقدر اللازم من المصارف. ولا أقصد مأمورية
عالية، ولا وظيفة وافرة غالية، بل أرضى بتعليم ألف باء، بلا تمنع واباء، وأقنع بالكفاف
عن المثين والآلاف، فإن عيّنتم باللطف والكرم، والفضل والهمم، التي شاهدتها رأي
العين، وامتلت بذكرها أسمع الخافقين، مأمورية جليّة أو حقيرة، ووظيفة قليلة أو
كثيرة، أرجو وأمل بما لكم من علو الهمة ومزيد الاشفاق، لا لما في الداعي - وأستغفر
الله تعالى - من الشرف والاستحقاق، أن تنبئني بخبر شافٍ، على لسان تلغراف،
لأعجل الترحّل إلى ذلك المقام، وأقرأ على دار السلام السلام، فيما الإقامة بالزوراء لا

(١) من المخطوطة (٣٢٧٢٤ د. ص).

سكني بها، ولا ناقتي فيها ولا جملي، ولكم الأمر، وطول العمر، وعلو القدر.

١٠

رسالة وجهها لصديقه صبحي باشا معزياً بوفاة الباشا والده^(١)

لقد مزق الناعي قميص تجلدي، فخلدت حسرة لاتطاق في سويداء خَلدي، فياليت
الأنباء عميت، أو الأسماع صمّت، أو الألسنة زمت عن النعي الذي أحدث البلابل، من
(فروق)^(٢) إلى بابل. شلت أيدي المنون كيف تنزع برد الشباب القشيب، وتُدوي الغصن
النضر الرطيب، ولا يرق للشجي والكئيب، فإنا لله وأنا إليه راجعون.
وأساله تعالى لكرمه العميم أن يجعل من فجعنا به من شبان جنة النعيم، وأن يلهم
الكرام العز من جدّه وأبيه، وأعمامه وأخوته وذويه، بل كافة مخلصيهم ومحبيه صبراً
جميلاً، ويمنحهم أجراً جزيلاً، وعمراً مع العزّ والعافية طويلاً، بحرمة خاتم النبيين،
وفاتحة الكتاب المبين.

٢٥ جمادي الاولى ١٢٩٥^(٣)

١١

رسالة بعثها^(١) لصديقه صبحي باشا ناظر الأوقاف بعدئذ في ١٢ رمضان ١٢٩٢ يصف بها
(قطر) التي قبل أن يكون قاضياً فيها. لأنها كانت قائممقامية تابعة لمتصرفية نجد يقول رحمه
الله: إن أوتيت نيابة (قطر)، وبعدها عن بغداد يسير البريد مسيرة شهر، وهي في
منتهى الإحساء، في ساحل البحر، نارية الهواء، قريبة من خط الاستواء، ساعات
مستقرراً ومقاماً، نعم نار جهنم أشدّ منها حراً... ومع ذلك قبلتها لكونها مستحصلة
بمساعي من الداعي مغمور نواله، ومعمور أفضاله. ثم اعتري مزاجي انحراف، أوجب
لي عن قبولها الانصراف.

(١) في القطعة المرقمة (٤) كتبنا ما بعثها برسم التعزية، وهذه القطعة يبدو عليها أنها كتبت لوفاة
شاب، ربما ولد صبحي باشا، وعلى هذا فإن العنوان لا يخلو من الالتباس.

(٢) أي إستانبول.

(٣) من المخطوطة (ج).

(١) من المخطوطة (ج).

٦٣

المقامات

المقامة المرصعة

١

كتبت لحضرة صبحي باشا

المعروض إلى الملاذ الأجلّ - أدام الله اعتزاز المعالي بسعوده، وخدّ تباهي المفاخر بوجوده - إن هذه (المقامة) مرصعة بالجواهر، جواهر نعوته الزواهر، أومأت بها إلى جليلة حالي، والى عتبته التي هي المطلع لاقبالي، قفوت فيها إثر البديع، وباهت بذلك الترصيع، فإن فازت من سدته بالوصول، وحازت صلة الوقوع في موقع القبول، كنت كمن أليس بُرد الشباب بعد النزع، وأذن ما مضى من عمره بالرجع.

المقامة (١)

حدثني من اتخذته خليلاً لصدق لهجته، واصطفيته دليلاً لاستقامة محجته، قال: سئمت من طول المقام بدمشق الشام، وان كانت أيامي فيها كأزمان العيد، ومقامي مكان سعيد، وقصر مشيد، محفوف بخدام وعبيد، وكنت طوراً في فكاهات أدبائها، وتارة في إفاضات علمائها، وإذا اختبرت كلاً من كلا الفريقين وجدتهم كسيوف أجاد صقألها القين؛ فالأدباء رأيتهم إذا أنشأوا أغربوا وأطربوا، وإذا أنشدوا شتتوا الشجون وبددوا، ونزفوا القلب من راكد الهم، ورحضوا ما أسخ به من راسخ الغم. والعلماء أبصرتهم إذا أفادوا أجادوا، وأزاحوا الجهل وأبادوا، وان جودلوا، وان استمطروا هطلوا، دأبهم توضيح المحكمات وتأويل المتشابهات، وتقديم قولهم: هاك على قول السائل هات، وبهم ظهر لي ظهور البدر إذا بدا، أن الراسخون في الآية معطوف لا مبتدأ، لكن هجرت العذب لإفراط الخصر، فجزمت العزم على السفر، وكانت السفر إذ ذاك على خطر، فسرت بخفارة سرية، إلى بلدة الأسكندرية، فلما ألقيت بالالمام

(١) وجدت هذه المقامة في دار صدام للمخطوطات برقم ٣٢٦٩١ كما وجدتتها في المخطوطة المحفوظة لدى الدكتور عبدالله الجبوري. وفي المخطوطة (٣٢٧٢٤ د. ص).

عناؤه، وازحّت بالاستحمام وعُثاءه، ذهب بسم الله إلى مرساها، لأستنشيء طيب هواها، ففاجأت هناك أنحف ناحل، كأنه ألقاه اليمُّ بالساحل، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، ولا يني يتأوه لمضيض الحسرة، وهو متكيء على يسراه، ينكت الأرض بعصاه، كأنه يحاول أن يدسّ همّه بالتراب، فلا تشمتُ به الأتراب، فتوسّمتُ من عمّته وشملتّه، وتفرست من تفصيله وجملته، أنه ممن أصمّي بداء الأدب، فأضناه الدأب والخيبة بعد الطلب، فحفّفتني إليه ثقل ما هجس في صدري، وفوضت إلى الله أمره وأمري، فكلمته وقلبي لحالينا مكلوم، فإذا هو فرد جامع لأشنتات العلوم، ومشتت الآراء بجموع الهموم، وساعني منه أنه لم يسرّ سرّه، بأن يفوض إلى بارئه أمره! فقلت: مالك طاحياً بك الفكر، وكل شبيء بقضاء وقدر؟ فاسترجع قائلاً: أستفتيك وان الخير لفيك وفي فيك. مالي تناعت آمالي وتوانت أحوالي، على أن أنابيب أقلامي تجري بالإبريز، وأساليب كلامي ترفع على التمييز، وما ذلك على الله بعزيز. فصول الفضل أنا ربيعها، وأبواب البلاغة أنا بديعها، سلّ عني ما حَبَّرت وأكملت، وصورتُ فأجملت، وأتممتُ ونممتُ، وأسديتُ وألحمتُ من: تأليف فاقت، وتصانيف راقت، ولبقت ولاقت، أفلسْتُ للمراقى أهلاً؟ أوليسَ ذلك على حظي سهلاً؟ فقلت: بلى، لا رُدِدْتُ بلا، ولكن هلاً تشبَّنتُ بأسبابها، وأتيت البيوت من أبوابها! فقال: فتحَ الله عليك إن الأبواب قد عُلقَت، وحسانَ المدايح قد طُلقت، فأى باب أقرع؟ ومنَ ذا الذي إذا نودي يسمع؟ فإن كنت على بيئة فبينها، والّا ففارق كل أمنيّة وأبنيها. فقلت: أجد ذهنك عطّل عن درر؟ مناقب الوزير ذي القدر الخطير، والقريحة الأدبية، والأريحية العربية، السامي نسبه، العالي حسبه، الذي يرى ارتقاء المجد في اقتناء الحمد، وتفاضل الرجال بمقادير الكمال، يدعو كل أناس بإمامهم ويميزهم بمنطقهم وكلامهم، وطالما أنقذ الأديب بهمّته، وغمر الأريب في نعمته، وهو أمير العلماء، وعالم الأمراء ولا مرء، فما كذبَ إذ وعى صميم نصحي، أن يممّ ساحة ذي المجد صبحي، لتأخذ رافته بيده، وتتجيه من كمده، وتعيد إلى الرّواء عوده، والى الصعود سعوده، فكأني به مثلُ بذراه ونال مبتغاه.

كتبته في ١٧ ذي الحجة ١٢٩٩

طه الناثر لهذه المقامة

مقامة أخرى

حدثني أليف صدق وحليف حق، قال: رأيت واعظاً لم أعلم سَمِيَّه. ولم أر سِيَّه، قد نصب للنُصح كرسِيَّه، فلما استوى عليه، ولوى على حواليه، قال: عُوي من ألته دنياه، وعي من أذهلته عن أخراه، إنها كمتخذات أخدان، تُجامل كلَّ دان، ثم لا تدين كما تُدان، كما قال من أبتليَ بمثلها، وصنو أثلها، وجرو بعلمها، وغاية مبتغاها من بقائها، ونهاية سناها من نمائها، البيتين هاتين، وهما كمهاتين:

من أمته أو عمته وأخته متكسب لتحبب بنفاق
فالباغيات الطالحات يرين من يخلو بهن مودة المشتاق

ثم إن خاطبها يحسبها بيضة خدرٍ لأيرام خباؤها، وربة سترٍ لأينال اجتلاؤها، وهي كما وصف زئر خطيبته، إذ استنفض تلميذه حقييته، فنظم التلميذ تحاورهما، ليسجل في الأذهان لقاءهما، فلا يُخطب كل رُود، ولا يُستطاب كل عود، وهي هاتيك فاحفظوها لغايتها، وارعوها حق رعايتها.

لاقيت شيخ صنفنا بغتة في غلس الفجر إذا الديك صاح
فقلت: أين كنت يا شيخنا بالله قل بالجد لا بالمزاح؟
قال: لقد أخرجني ذبذبي إلى التي حاولتها بالنكاح
وصلت بابها مجدداً فإذ أعيد مجدولُ مكان الوشاح
فقلت: من ذا؟ فهي قالت: فتى بات نديماً لي حتى الصباح

فتحققوا أن الدنيا كتلك الخطيبة، فمن أصابها فقد أصابته مصيبة، فليحولق وليسترجع، وليطلق ولا يُراجع، ثم إنها إن وانتك في شيتك، أو ماشتك في مشيتك، فلا تأخذها باليمين، ولا تتق أنها لا تَمين، وهي كوليذة تَميس وتتدلل، وتري ربها أذيال مرط مرحل، وتوهمه أنها محجوبة عن الصبَا والشَّمال، وهي منهتكة الستور. ومنهمكة في الفجور، وان نكباتها سريعة الاقبال، وبطيئة الزوال، كما قد قيل في شأنٍ وغدٍ ثقيل:

بغيض إذا ما اعتلى مجداً وزحزح عنه بزجر كثير
سريع صعود كريح الفُسا بطيء هبوط كثقل الفطير!

رايشم اذا نشأوا ثم رويوا وطروا واذا نشدوا شتوا البهائم
 وبدوا وتفرقا القلب من ركد الهم وحطوا ما تسبح
 من برزخ الغنى والعلم بالبحر ثم اذا افادوا اجادوا واذا اوجروا
 الجسل والادوا وان جردوا ابدلوا وان استكثروا اجهلوا
 وابهم توضح الحكامات وتاويل النشأته وتعيم قديم ما ك
 على قولك انك تلبات وهم ظهروا ظهور البهرا اذا ابدوا
 ان الرسخون في الآتي معطوفا لا مبتدا لكن بالخبر انك تبتد
 لا فراط القصص في رسم العزم على السفر وكان في السفر
 اذ ذلك على خطرة قد كنت كفارة سيرة اليلدة الكسيرة
 فلما انقبت بالامام عتباته واخرت بالاسقام فبنات
 وبسبب اسير الى حرب ما كاستغنى طبيب هو اما
 فغايات خالدا كتحفتا جل كامة الفاء الهم باس اهل
 لا يفتك عله ولا يبتزه والابني تباة لمضيق الحسرة وهو سكر
 على سراه يكتف للرضع لبعها كانه يمول ان يحس من الجواب
 فلا تفتت به الاثاب فتفتت من حستته وفتنته

المبروض المبالا الاجل ادم ادم اعتراف المعال السعوده
 دخله تبايع المغاير لوجوده ان في حصة بالجوهر جوار
 مغرزة الزواجر او ما تبايعها الى حلية رالي والاعتبة التي
 هي المطنع لا قبالي فتوت فيها اثر البديع واهنت بذلك
 الترميص فان فانفتحت من كسرة بالوصول وعازت صلبك
 الوضوح في موقع القبول كتنكر الدر بتر الشبا سيدة
 السرخ واذن ما مضى من حسمه بالريح

من شئ من تحفة فليلا البصير في اجتهت ومطيفيه لسبلا كاختفاء
 تحتها قال سكتت من طول المقام بخرق الشام والاد
 كما شفت باي فيها كما زمان العبيد ومقامي مكان بيبه
 وفخر شيد محفوظ كدام وعبيد وكنت طورا وكفاية
 ادائها ذارة في انا فهايت على لها واذا اخترت كلالا
 من كلالا الفريدين وبعدهم في انا حاد حقا كما القين فالاربا

الهم

جزء من المخطوطة ٣٢٦٩١

وأنها إن أوعِدَتْ وقت، وإن وعدت أخلفت، كمن كان في قومه من الأذئاب، فوعد
رئيسه بإهداء كتاب، فغلق على الوفاء كل الأبواب، ثم كرر الوعد والمطل حتى هطل عليه
ما هطل، وأقيمت على فعلته بيئتان، وهما هذان البيتان:

مَنْ أَخْلَفَ وَعْدَهُ بَأَنْ يُهْدِيَ لِي بِالطَّبِيعِ بَطِيبِ نَفْسِهِ الْقَامُوسَا
قَدْ بَادَرَ بِالْمَنْجَلِ فِي عَارِضِهِ إِذَا حَصَدَ نَبْتَهُ وَأَلْقَى مُوسَى
فخَلَدُوا مَا تَلَوْتُهُ فِي الضَّمَائِرِ، وَقَيَسُوا دُنْيَاكُمْ عَلَى هَذِهِ النُّظَائِرِ.

قال الراوي: فلما فرغ عن تقريره، وطوى حبر تحبيره، وأذن بمسيره، وتفرق
السامعون من حوله، فرحين بما آتاهم من قوله، تمتلئ بين يديه، وأسرت إليه؛ أن
أقسمت عليك بمن له الخلق والأمر، أترى لك فيما زوقته من أجر؟ فقال: لا والذي جراً
جناني، وأجرى لساني، فإنها كانت نفثات من الصدر، تفلت بها على بعض أولي القدر،
من أهل هذا العصر...^(١)

٣

مقامة أخرى

حدثني من جاورته في الحضرة، وسأيرته في السفر، وتبينت صدق مقاله، في إقامته
وترحاله، قال: تعوضت عن الركعتين باستماع الخطبتين، في جامع مانع عن لغو الكلام،
معرفةً بمزجم الخاص والعام، فلما قضيت الصلاة، وحان الانتشار للصلاة، استوقف
الناس شيخ قد نقد صنوفهم، وميز جيادهم وزيوفهم، وكان فيهم وزيران هما على
طرفي نقيض، محب وبغيض، ومفيض ومغيض، ونجيب وهجين، ومهاب ومهين، فقال:
أيها السامع المنهمك في المطامع، الدين النصيحة، وأصحها الصريحة، واني لقاتل ملت
أو ملك، عدلت أو عدلت: حري بمن رفع عن حضيض الحقارة، إلى يفاع الوزارة، ومن
مدارج الهوان إلى معارج الأعيان، ومن قفار الافتقار إلى مراتب الاعتبار، ومن الخطاب
بيا غلام، إلى النداء بأبيها الهمام، ومن انتظار إسعاف الصديق إلى الادخار في
أجواف الصناديق، أن يحمد مولاه، ويجري الشكر مجراه، أن لا ينسى نفسه، ويتذكر
في يومه أمسه. حتى لاتستفره السراء، ولايستخف بورثة الأنبياء، ولايعادي من لم

(١) من المخطوطة (ج) وبقيت المقامة ناقصة.

يبصر مضيّفه، ولم يقتل أباه ولا كَسَرَ رَغيفه، ولا يطيل رشاء ارتشائه، ولا يجعل المخازي حشو أحشائه، وليتبع خير سبيل، سبيل ذي الشرف النبيل، المولى الوارث أثيل المجد، من أب وجدّ بعد جدّ، فإنه ملاذ البائس، ومؤمل الأيس، يزيل اللأواء، ويسيل الآلاء، ولا يريد شكوراً ولا جزاء، وهذه سجية منه غير مُحدّثة، وشنّشنة قديمة مورثة، ومن صنایعه الأمسية، بطباعه القدسية، ما أجراه على سادن الحضرة العباسية، إذ ابتزّت سدانتها، وانتبذت مكانته، وتمكنت استكانته، فرهن جنات أَلْفافا، وأحضر مئات وألأفا، واستأجر صرافاً عرافاً، ليسعى في سدانتها أن تعود، ويخضّر له ما يبس من العود، وكتب له قسطاً بألف من بني الأصفر، يعادل كل واحد مائة من الأسود والأحمر، فبذل ذلك الصراف كل المجهود، ودسّ دسياسة قومه اليهود، فأشار بإيماض الطرف، ورقيق الحرف، أنه يعد جميع الألف، إن ردت تلك الأمانة، وخسرت صفقة الخيانة، فقال المولى المشار اليه - ربّع الله مراتع الآمال بندى يديه - : إن قضية توجيه الجهات من الموجهات البسائط، لا تتركب من الوسائل والوسائط، ومثلي من دأبه التنويل، وبذل الجزيل، واغاثة الملهوف، والاحسان والمعروف، لأجر المئات والألوف، فبشره بأن السدانة تأتيه بلا ثمن ولا حمل منن، فلما فاح من هذا الخبر نشره، وعمّ أندية الأشراف ذكره، ضجّت سكان كربلاء، بخير الدعاء، وأهالي بغداد بطيب الثناء. فعش يا حريص كذلك، أو متّ فلست هنالك^(١).

التعازي

١

رسالة وجهها للسيد سلمان أفندي نقيب أشراف بغداد. في ٢٠ جمادى الأولى ١٢٨٩ معرّياً السيد سلمان بوفاة والده النقيب السيد علي

تسليماً لأمر الله ورضى، وصبراً على ما قدر وقضى، من اندكاك طود الرجاحة، وانهدام رصين السماحة، بأن طار ابن البازي - قُدس سرّه - وبدل بمواكن الطيور الخضر وكُرّه، مستقلاً على أجنحةٍ كان يبسطها رحمة على كافة من في العراق، ورأفة

(١) أخذت المقامة من المخطوطة (ج). وكتب في هامشها أنها - أي المقامة - ناقصة.

على قاطبة قاطني رحابه، بطيب الأعراق من جَواب الأفاق. فسار من دَسْتِ نقابته ومجده، إلى السرر المرفوعة الموضوعة له ولأبيه قبله وجدّه، وحمداً وشكراً له تعالى على ما أعلى شرفات ذلك الشرف الأثيل بأن ورث النقابة المتأصّلة نجله النبيل السامي الفخر، النبيه القدر، العليّ السيرة، المحمود السريرة، جامع المناقب والمكارم السريّة، واسطة القلادة الدرّية القادرية، حضرة ذي الفضيلة، والمفاخر الجزيلة، ونسأل الله أن يجعل الراحل إلى جواره مقيماً في قرار رحمته، والمقيم في محله المعمور مغموراً، بمدار نعمته، مادام الصبر في المصايب جميلاً، والأجر للصابرين جزيلاً، والسلام على...

وذلك عندما كان رحمه الله في دمشق الشام^(١)

٢

حضرة الأكرمين الأجلّين! ضاعف الله أجرهما^(١)

أعزيكما، وأنّي لثالث المعزيين بل الأوّل، فيما ناب من الخطب الذي عظم أيمن الله وجلّ، جعل العين عبرى، والكبد حرّى، ولم يدع في السويداء جدلاً وصبراً، أحسن الله في اصطباري عزاكما، وساعدني في هذه الرزية العظيمة واياكما، أسأل الله الذي نزع قبل المشيب شبابه، أن يجعل من السندس والاستبرق ثيابه، وأن يلهم الباقيين الصبر والرضا، بما قدر البارى وقضى، وأفاض عليه شأبيب المغفرة، وجمعه بأولي الوجوه الضاحكة المستبشرة، أمين.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣

رسالة إلى السيد محمد أفندي الموصلّي النوري. تعزية له في وفاة ابنه^(١)

ساعد الله حضرة المولى في مصابه، وأذاقه حلاوة الصبر على مرّ صابه، ولقد أتت هذه المصيبة كلّ صفيّ نصيباً، وأصابت كلّ وفيّ بسهم فجعلته مفجوعاً كئيباً، إلا أن

(١) من المخطوطة (ج).

(١) من المخطوطة (٣٢٧٢٤ د.ص).

(١) من المخطوطة (٢٣٧٢٤ د.ص).

الأدراع بالصبر في هذه المواطن من شيم الأبطال، والقاء السلاح في مقابلة جنود الأقدار من آداب الكملين من الرجال، فإن المنايا لا تطيشُ سهامها، والأجال لا تتأخر أيامها.

وما المال والأهلون إلا ودايع ولا بد يوماً أن تُردَّ الودائع
ولولا أن الذكرى تنفع المؤمنين، وأن التعزية من سنة الدين، لاعتزل اليراع من هذا القيل، وأبى من مثل تعليم ميزان الشعر للخليل، فإن حضرة المولى، هو المرشد الأقوى، المتمسك بالحبل المتين من التقوى، البازل لنفائس النصيحة، المداوي لعلل القلوب بالمواعظ الصحيحة، ثم إني والأخوين نسأل الله تعالى أن يديم لكم الصبر، ويزيد لكم الأجر، وأن يغفر لمن توفاه، ويجعل آخرته خيراً من أولاه، ويلقّيه برحمته رضاه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٤

جواب مكتوب من السيد محمد أفندي الموصلّي النوري على رسالة الشيخ طه السنوي بالتعزية بوفاة ابن السيد النوري^(١)

أما وباريء النسم، وموجد الأشياء من العدم، وقسماً بباعث الأموات، ومحبي العظام الرفاة! لقد تنور قلبي بالنصائح السنوية، وأشرق لبي بالمواعظ الدرية، غداة وافاني كتابٌ تنشرح له الصدور، وتلين به الصخور، ويأنس به المحزون، وتنجاب بنسائم لطفه عن الفؤاد الشجون، توشح بالفصاحة، وتمنطق بالرجاحة، من مولى أخذ بمقاليد النجاة، ورمى غرض الفضيل بسهام همته فأصابه، الذي كرع من صافي راووق التدقيقات كأساً ملياً، ورقى من مراتب التحقيقات محلاً علياً، العالم الفاضل، والحبر الكامل، لا زالت نسائم اللطف متنسمة على رياض قلبه، ولا برحت شمس المعرفة مشرقة على لبه. أمين، فلقد وعيته بأذن واعية، فأيقظني من رقدة الهم، وتلقّيته بفكرة لا يشغلها عن مثله لاغية، فأنقذني من مهالك حلت مني حزام الحزم، على أنه - سلمه الله تعالى - لم يزل مشاركاً لنا في هذا الرزء العظيم حيث حسنت ذاته، وطابت منه الخيم، فلست أبلغ شكر مساعيه وان طال المدى، ولا أستطيع مكافأة لأيديه ولو تجاوزت في ذلك حداً، ومثله من يرجى منه حسن الوفاء، وحري بأن يتفضل بمثل ذلك

(١) من المخطوطة (٣٢٧٢٤ د.ص).

على الأحباء. ونرجو من عليّ ذاته ومكارم أخلاقه حسن الدعاء بالاستقامة، على أحسن الأنحاء، والتوفيق للصبر على القدر والقضاء.

هذا وأبلغ جزيل سلامنا على الأخوين الأكرمين، اللذين هما بمنزلة الانسان من العين، وعلم الله ذو الجلال، لأنني إلى رؤيتهما أشوق من الظمان إلى الماء الزلال، ولازلت سالماً.

التقاريف

١

تقريظ على تأريخ الدول للقرماني^(١)

الحمد لله الذي أوجد وأفنى، وأفقر وأقنى، وأعزّ وأذلّ، وأرشد وأضلّ، ونقص وأكمل، وداول الأيام بين الأنام، وقدّر الكور والصور بمرور الأعوام، وأباد أعياناً وأبقى منهم الآثار، ومحقّ آخرين وألحق بجثمانهم الأخبار. والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه سرّاة الدين، وهداة اليقين.

أما بعد: فإن من أبهى ما يُشنف به الأذان، ويُحفظ في خزائن الأذهان، أخبار القرون البائدة، وأحوال القروم السائدة، ليدرى ما أهلك وأردى، ويُعرف ما أملك وأجدى، فيأخذ الأريب غاية حذره، ويتلو صحيفته من عنوان أمره، ولا يدليّ سلم الدهر بغرور، ولا يستحسن الكسل فتسوؤه خواتيم الأمور، ويزداد يقيناً بالقدرة البالغة الربانية، ويذر ما تزور في خلدته من الهواجس النفسانية، ويرسخ في ضميره أنه زائل زوال الفيء، وأن كفّ قدرته صفر ليس له من الأمر شيء.

ثم إنه لما كانت كتب التواريخ منها ما هو أطول من أطناب الآمال، ومنها ما هو أقصر من حظوظ أرباب الكمال، فبعض يقصر عن إدراكه المتناول، وبعض ليس تحته لكمال نقصه من طائل، وكان هذا التأريخ مجاناً عن الاختصار والتطويل، متخذاً بين ذلك أعدل سبيل... قصّد المولى الأجل، والفاضل الأكمل، صاحب الأفكار السديدة، والأطوار الحميدة، أن تكثر نسخ ذلك الكتاب بالطبع، فيكون له عموم النفع، فتولى

(١) من المخطوطة (٣٢٧٢٤ د. ص).

بنفسه تصحيحه من نسخ كثيرة، فلم يغادر فيه غلطاً، وسلمت أقدام أقلامه من العثار في الخطأ، طالباً للأجر الجزيل، بذلك الطبع والتمثيل، حين كانت الأيام كأنها أعياد، إذ أسبغ ظل العدل والرفقة على العباد، مروّج الدين المبين، سلطان الغزاة والمجاهدين، السلطان عبدالعزيز خان ابن السلطان محمود خان، نصر الله جنوده ووَقَّرَ سعوده، وأبَد دولته، وأبَد صولته، وأمدَّ ملكه من عالم الملكوت بجيوش غير متناهية العديد، وسلَّطه بالنصر العزيز على كلِّ جبار عنيد، وكانت خطة العراق محفوفة بالنعيم، لا يوجد في رحابها عليل سوى النَّسيم، قد اطمأنت أرجاؤها، وذهبت برحاؤها، وتبسَّمت ثغورها بالفتوح، وتبسَّمت في مواتها نسيمات الروح، شقَّت طغاتها جيوب الشِّقاق، وتقبَّلت عصاتها أقبية الوفاق، وحسن مستقرها ومقامها، وانجلى ظلمها وظلامها، بأنَّ أشرق عليها شمس فلك الوزارة، وبدر سماء الإمارة، مشيداً أركان المجد بالرأي الركين، مؤيد بنيان النجدة بالفكر الرصين، ليث العرين، العديم القرين، فلان، أدام الله ظلَّله، وضاعف إقباله بمن سما السماء، ووطاها، وسَمَّى يس وطه.

٢

تقريب لتفسير إبراهيم فصيح أفندي الحيدري^(١)

هذا فصيح البيان، وبلغ التعبير بالبنان، والدُّرُّ المستخرج من بحر التعميق والامعان، لحضرة من له الكعب الأعلى في الشرف والنجابة، والسهم الأوفى في الاجادة والاصابة، المغرم في لجج الغوامض بالغور، الملهم بحل عقد العويصات الأبيات على الفور، ينطبع في مرايا أفكاره ما يتجلى لأذهان المعاصرين ولا عكس. ويقذف بالحق من أنظاره على باطل المناظرين فلا يزيدون إلاَّ النَّكس. ولا غرو- فلعمر أبيه! - قد طوى لإحراز الفنون رداء الشباب، وسعى لها سعيها في طرق التحصيل والاكْتساب، جدَّ في تحصيل كمالات الأب والجدِّ. وتجاوز في اقتناء العلوم الرسمية وغيرها عن الحدِّ، مع ما له من فرط نكاء يتناوش الثريا من مكان بعيد، وحدةً نظر تشقُّ أستار المعاني ولو أنها كانت من حديد، حتى حاز بجودة الفكر، وإدامة النظر، ما حازه جدُّه وسَمِيَهُ إبراهيم بن حيدر، وان في هذا التفسير لآيات على كونه سبَّاقاً إلى الغايات،

(١) من المخطوطة (٣٢٧٢٤، د. ص).

وبالغاً أقصى النهايات، وأسأل الله تعالى انجاح مآربه، وتيسير مطالبه، بشرف منازل به الروح الأمين. على خاتم الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

٣

تقريظ الألوسي على كتاب هدي الناظرين للشيخ طه سنوي^(١)

وقد كان المقرظ الشيخ طه المذكور^(٢) قد شرح تهذيب الكلام للعلامة الثاني المشهور، شرحاً يشرح خاطر، ويسر الناظر، سمّاه (هدي الناظرين) فالتمس من حضرة شيخنا أن يقرظه، فقرظه بما تيسر، حيث إن الذهن منه قد تهوَّش والوقت وحاله لا يخفى قد تكدر، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا لعمري هدي الناظرين، إلى مواقف مقاصد تهذيب الكلام، وغاية منى الراغبين، في اجتلاء أفكار ذوي الأفهام، قد أجلت طرفاً طرفي في فيه، وحلقت في جو مطالبه العالية بقدامي الفكر وخوافيه، فرأيتُه ذا فضل يقصر عن بلوغ أدنى مراقبه، أمنية المتناول. وقول فصل لا يأتيه الباطل، في باب الاعتقاد ومنزل الكتاب لتحقيق الحق باطل:

لا يدرك الواصف المطري خصائصه وإن يكن سابقاً في كل ما وصفا
ألفه عضد السعد، وصدر الفخر والمجد، وعلامة الأب والجد، ذو الذهن الذي يعطي
المسائل الكلامية من التحقيق على القواعد الأشعرية ما تريد، ويمنع دعاوي المعتزلة
عن السنة المرضية، من أن يهب عليها ومرسل الرياح قبول المقبولية، في فضاء التقليد،
الفاضل الذي هو فوق ما تؤمل الطلبة فيه وترتجي، ولدي الشيخ طه بن الشيخ أحمد
أفندي السنندجي، شرحاً زين المتن، وزين عنه كل وهن، وزاد على زبده شهداً، وجمع
مع زنده غالية وقدًا:

(١) من المخطوطة (٧٠٩٣ د. ص)

(٢) للشيخ طه تقريظ على حديقة الورود.

وفي كل شطرٍ منه روض من المنى وفي كل سطرٍ منه عقد من الدرر
فحريٌّ وحرمة العلماء لطلبة علم الكلام، أن يقفوا في مواقفه، ويجعلوه لما حوى من
مقاصدهم المبدأ والختام.

وكتب أفقر الموالي إلى المولى المتعالي أبو الثناء شهاب الدين محمود الحسيني
الحسني الألوسي البغدادي عفي عنه وغفر له.

٤

التقريظ الأول للعالم الذي نال في التحقيقات كل مقام عالي. وترقى في المراتب العلية
حتى صار من أجلة الموالي. ذي الخلق السنوي. والطبع السنوي. الشيخ طه أفندي
السنوي. لازال متفضلاً ولا يبرح للفضل أهلاً^(١)

إيه حلفاء الوفاء لا فقدتكم إيه، أعيد وأذكر من كانت المكارم مجموعةً فيه، ورثها عن
آبائه وأورثها بنيه، فإن رواية مناقب الكرام، تروي من أوام أضرمته لئام الأيام، والأيام
اللئام، وان من ألفت أوصافه بين هذه الأوراق كان عريق السؤدد، وسواد عين العراق،
حامي الذمار، منيع الجار، رحيب الدار، عزيز التواضع والوقار، مميّزاً للممتاز باراً
بالأبرار، ساراً للجلّاس والسّمّار، موفياً بالعقود، منحاراً بهيمة الأنعام للوفود، كثير
الركوع والسجود، متزوداً لليوم الموعود، وان من له الانصاف بالانصاف، يذعن بأن
الذكر للمتسم بهذه الأوصاف، كاف عن التردّي بالردليل، كافٍ للتخلي بالفضائل، فله
درُّ أشباله الوارثين لحاسن خلاله، قد دونوا ماراده وكرّ سجايه بهاء، وأفاده شرّاً
مزايه طيباً ورواء، من نظمٍ رقيق، ونثرٍ أنيق، بالتحريير والاملاء، حقيق ليكون جلاءً
للأذهان، وسلواناً للأحزان، ومستجلباً للدعاء بالرحمة والرضوان. لمن كانت له هذه
الخيرات الحسان، لا زالت شأبيب الرضا غاديةً على جدته، ورايحةً بحرمة من أنزلت
عليه سورة الفاتحة. أفقر الموالي إلى المولى المتعالي، سنوي طه.

٥

تقريظ الشيخ طه السنوي علي حديقة الورود^(١)

وقد قرظ هذه الحديقة. بألفاظه الحرة الرقيقة. ذو الخلق العطر الندي. الشيخ طه ابن الشيخ

(١) من المخطوطة (١٢٤٩٦ د. ص) هذا تقريظ على كتاب الروض الحميل في مدايح الجميل ابن
الجميل (عبدالغني الجميل)، جمعها السيد عبدالله بهاء الدين الألوسي. صححها وعلق عليها
عباس العزاوي، وهي مخطوطة. في ٣٠٥ صفحات. بخط عبدالرزاق الملا محمد الحاج فليح =

أحمد بن الشيخ قسيم أفندي. فقال:

اللهم اجعل لساني من عنادل تترنم في حديقة الورود من شكر الآثك، وافتح كمامة جناني بنسمات ألطاف بها تتفتح ورود حديقة حمدك وثنائك، وصلّ وسلم على نور حديقة الأعيان، ونور حديقة الأكوان، محمد الذي برياه أشممت الأعيان رائحة الوجود، واياها وعدت الفضيلة والمقام المحمود، وعلى آله فروع دوحة الايمان، وصحبه أصول شجرة الايقان.

أما بعد: فإن نظري قد اعتاد، مُدّ تعلق به الایجاد، أن يتحدّق إلى كل حديقة غلباء، سقيت من مجاري الأقلام أشجارها، ويرتاض في أي روضة غناءً رويت من زلال الكلام أزهارها، وبعد ما تمّ لي (هدي الناظرين)، وختم ببركات علوم المعاصرين، هديت ولله الحمد للورود، إلى جنة هي مقام محمود، قام فيها مقام الأفنان، أقلام ذوي الفنون، وناب عن الثمرات المختلفة الألوان، فواكه أبحاث تجتنيها أيدي الأسماع والعيون، مجمع أرباب الصفاء، ومرتع أذهان الأصفياء، يحوي أفاضل تحسد بهم السماء، قسماً بعلاك أرضاً، فتشبههم بنجوم السماء، عن مثلك لا أرضى، كيف والكل استنواؤاً مع جودة الذهن والذكاء، من ذكاء تضيء في الليل والنهار على سواء؟ واقف أسرار السبع المثاني، صاحب تفسير روح المعاني، ذو البهاء الذي لا يضارع ماضي برهانه الصارم الهندي، حضرة ملاذنا أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود أفندي، فقلدت أفاضل انتظموا في جانبي صدر ذلك النادي سمطين- سمطين، واودعت ودع نفسي اغتراراً بما لهم من الأيادي في ذلك البين، فرأيتهم يكشفون عن كل حقيقة لا مجاز لفكري ان يحوم حولها، ورأيت نفسي- ويح الغافلين- من مجازات لاحقائق لها. ثم إن من كان شمسة تلك القلادة، وحائز أمالهم من الحسنى وزيادة، محقق الأبحاث الربانية، مولانا إبراهيم أفندي مدرس القيلانية، لما أبصر خفارة جذعي، واستكشف ولعي، في نيل ما نالوه وجزعي، تبسّم لما توسّم منّي عن أقاح، ومال كالغصن نحوي صايحاً: أن يا صاح! ما لك مطرقاً كالنرجس، عند ورود هذا المجلس؟ إنك لقد نزلت منا منزلة الشفيق، وحللت محل الأخ الشقيق، لاسيما إن رئيس هذا المكان، نعمان الزمان، وألطف طبعاً من شقائق النعمان، أس لمن يروض هذا الروض، مبيح للورود من هذا

= البغدادي. كتبت سنة ١٩٥٠، وقابلها وصححها العزوي في السنة نفسها.

الحوض، وإن تكُّ من ذلك بارتياب، فهناك هذا الكتاب، ففتحته بسم الله الرحمن الرحيم: ورأيتَه يحكي عن خلق عظيم، كأنها حديقة الورود، في ثناء أبي الثناء محمود، تسابقت فيه بلغاء العصر في بيان طيب سيرته، وتسارعت فصحاء الدهر في تبيان حسن سيرته، كل أظهر أزاهر ما لعبت بها أيدي النسيم، وملاً كؤوس ألفاظه رحيق بيان مزاجه من تسنيم، وأبدع فيما أودع فيه، وأحسن في صنع أسجاعه وقوافيه، وما ظنك بتحرير كل تحرير تحبيره بالاستفاضة من بيان الفاضل الخبير؟ فلما أجلتُ جواد النظر يسيراً بقدر ماتيسر، نوديت: أن أبررُ ما عندك فيمن فرضه هذه الفحول، وقرط آذان الأذهان بما فيه تقول، قلت: حدثني الرأي الصائب. عن الفكر الثاقب، عن الذهن الوقاد، عن الطبع النقاد، وأبنائي ابن الاعتراف، عن بنت الشفة، وأبو الانصاف عن القريحة الغير النشفه، عن لسان القال، عن ابن الكمال، وأخبرني حديث الجمهور، عن قديم الفضل المشهور، بالخبر المتواتر، عن العلم الوافر، إنه سيد فاضل ذكي همام، كلُّه كل سوّد، والسلام.

النصوص والصكوك والوصايا وأمور أخرى

١

وعندما كان - رحمه الله - في نابلس عاصمة متصرفية البلقاء سنة ١٢٨٩ ربيع الآخر حرّر صحة نسب أحد المنتسبين لآل الرسول الأكرم (صلعم) قال:

هذا عقدُ فخار تيمّمته العصماء سيد ولد آدم، وسلك درار أشرقّت بالقرب من حضرة النير الأعظم، الذي لولاه ما ماست الجوّاري الخُنس تحت خباء الفلك الأطلس، محمد فاتحة كتاب الایجاد، وخاتمة رسالة المرسلين الأرائه السداد، لازال متلقياً صلوات الصلوات من الرب الرحيم، كما تلقى القرآن من لدن حكيم عليم، بل شجرة بها قامت السدرة المنتهى على ساق، ولها أورقت أغصانها بربوة السبع الطباق واني - بما حدثني الأساتذة الأولون، أن الناس على أنسابهم مأمونون - جزمت بالنسبة لهذه الأعلام، لا يطرق باب فكري طارق من الريب والأوهام، كيف وأحساب المبصرين منهم على أنسابهم بيّنات عادلة، وفي لطافة ديدنهم على شرافة معدنهم شواهد زاكية كاملة، أضاعت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه، لاسيما الحسيب

النجيب السيد محمد منيب، فإن ما يتلأأ منه من زواهر الخصال، لا يدع للشك فيما حرر بعد الاتقان مجال، ولما بلغ الغاية جزمي بذلك وحتمي، شرفت بذيل هذه المشرفة إمضائى وختمي.

نابلس ١٢٨٩ ربيع الآخر^(١)

٢

وأصدر رحمه الله إعلماً عندما كان نائباً في صيدا لرجل نصراني من سكنة قرية جون من توابع جبل لبنان حين أسلم
الحمد لله الذي الهداية أمر من لديه، وكل شيء يعود إليه، والصلاة والسلام على المبعوث على كافة الجن والبشر، محمد الشفيح المشفع يوم المحشر، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار.

أما بعد: فلما نور الله قلب عبده البالغ الرشيد العاقل خليل بن نقولا بن حنا من قرية جون من قرى لواء لبنان بنور الهداية، ولاحظه بعين العناية، ألهمه أن سيدنا وسندنا وملاذنا محمد المصطفى بن عبدالله بن عبدالمطلب ابن هاشم القرشي دلت المعجزة على نبوته، فكل من دلت المعجزة على نبوته فهو نبي، فجزم بعد العلم بذلك أن محمداً المصطفى نبي، فكما كان مؤمناً بعيسى وموسى ومن قبلهما من الأنبياء عليهم السلام لدلالة المعجزة على نبوتهم، كذلك آمن بسيد الأصفياء وسيد الأنبياء المؤيد بمعجزة القرآن، الدائمة على مرور الأباد والأزمان، محمد المصطفى القرشي الهاشمي - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم - آمن عند كونه جامعاً لشرائط الايمان، بأن الله تعالى واحد وحدة حقيقية لا تكثر فيه لوجه من الوجوه ونحو من الأنحاء، لا يحل في جسد، ولا يخرج من رحم، ولا يتحد بغيره، وبأن محمداً ابن عبدالله ابن عبدالمطلب الهاشمي القرشي رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون، وقال في أشرف مجالس صيدا بمحضر جمع من الأشراف: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن كل ما جاء به الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - حق لا ريب فيه، ولأجل ذلك حكم الحاكم الموقع ختمه في أعلى الكتاب طوبى له وحسن مآب^(١).

(١) من المخطوطة (٧٠٩٣ د. ص)

(١) من المخطوطة (ج) والمخطوطة (٣٢٧٢٤ د. ص).

وقال - رحمه الله- يصف قوماً:

وإذا اخترت كلاً من كلا الطائفتين، وجدتهم كقرود تركوا الغيرة وما قالوا: هي أين؟ فالأكابر رأيتهم بالأوصاف الثلاثة توصفوا: فإذا حدثوا كذبوا، وإذا استؤمنوا خانوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا جالسهم أجمعوا عليك الأحران والشجون، وركدوا في القلب من الهموم ما كان وما سيكون، والعلماء أبصرتهم إذا أفادوا غلطوا، وإذا سئلوا سقطوا في أيديهم وخبطوا، وإن جودلوا وجدوا صمماً وعمياناً، وإن نطقوا أيدوا زوراً وبهتاناً، دأبهم تحريف الآيات المحكمات، والغلط في الآخر المتشابهات، وتقديم قولهم أعطيني على قول السائل أفتي، وبهم لم يبق لي وقوف. في أن الراسخون في الآية مبتدأ لا معطوف^(١).

وكتب -رحمه الله- وصيةً ليهوديين أسلما:

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الاخوان!

إن حاملي هذه التذكرة أخوان قد أبوأ كآبيهما غير الاسلام، وخرجا إلى نور الهدى بعد أن كانا من غيبه الغي في ظلام، وكلما بذل اليهود كل المجهود، بنثر النقود ونشر الوعود، زادا عن البقاء في التهود نفورا، ولم يطيعا منهم أثماً أو كفورا، ثم إنهما ليمونان خمسة أشقاء لهما صغار، ليس لهم دار ولا قرار، كأنهم أفرخ حمر حواصلها، فلا إلى شجر تأوي ولا ماء، فمن خفف من إيسارهما ثقلت موازينه، ومن أعانهما في الله، فلا ريب في أن الله يعينه، والسلام عليكم ورحمة الله^(١).

وفي رسالة له يصف أحدهم دون التعرض لذكر اسمه أو التأريخ

إن من سألتهم عن مخازي مخلات خلاله، واستوضحتم عن قوادح فعاله، لقد كتبت

(١) من المخطوطة (ج).

(١) من المخطوطة (ج).

رزينته، وكتبت سجيته في عريضة طويلة واضحة، لم تكن لأمثاله فاضحة، مستطرة من كل صغير وكبير، مسددة العنوان بسدة الأمير، فلما وقعت بساحته، وقع عليها بإزاحتها، فاستراح البلد الأمين، من ذلك الحلاف المبين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين^(١).

٦

وكتب - رحمه الله - لأحد الخطاطين وقد نُصّب قاضياً

مولانا! إن التلامذة مذ خرجتم إلى القضاء، دخلوا من التعطل في فضاء، فأضاعوا الخط والخط، وما برؤاً قلماً قطُّ، فما وُجِد فيهم راقم، فليت لي بهم أرقام والسلام^(١).

التوصيات

كان المرحوم- الجد- يتوجه لأصدقائه برسائل توصية لبعض من يراجع له لقضاء حاجة. أو دفع أذى. وكان رحمه الله بارعاً في الاختصار في مثل تلك التوصيات^(١).

٧

١- توصية

هذا الحلّي أتاك يرجو نذاك، بسوابق خدمه، وثبات قدمه، فإن تفضلتم عليه بالنعيم، فشنشنة أعرفها من أحزم.

٨

٢- توصية

هذا الحلّي يدعي معكم القرابة، ويزعم أنه في كآبة، فإن صح ما يقول، ففقره إليكم يؤول، فراع له ذمةً والاً، لاتتخذة عليك كلاً، فإنك بالسماحة موصوف، والأقربون أولى بالمعروف، ودم سالماً.

(١) من المخطوطة (ج).

(١) من المخطوطة (ج).

(١) هذه من عبارات المرحوم المحامي عبدالله السنوي، حفيد المرحوم الشيخ طه السنوي.

٣- توصية

حامل النميقة ابن خالك، وهو في حال حالك، ومفتقر إلى فضل مالك، فمِل إليه بعض مَمِيل، وأوف له الكيل، ولا تحرمه من الاكرام والانعام، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام. والسلام^(١).

سهل الله^(١) لحضرة طود الفخار طرق آماله، وخوَّله نعمة التزايد في مجده واقباله، إني قد أرسلت من بني من يأتني إلى أم الربيعين بإخوته، راجياً من أبي المكارم ذلك الملاذ، سعد جدّه حسن مساعفته. فإن شاء تيسير التسيير في أمد يسير، والأصحاب بالخفير، لتملاً أعيني قرة، وأفرغ للأدعية المستمدة، فعل إن شاء الله تعالى.
ربيع الآخر سنة ١٢٩٨ موصل

سأرسل إليك أنفية^(١) ما شَم مثلها عاطس، ولا مس ندها لامس، تنقي تجاويف الرأس، وتنظف مجاري الأنفاس، مسكية اللون والشذى، جالبة النفع سالبة الأذى.

كنت أدراك قليل الدراية^(١)، بينك وبين الادراك مسافة قصر، بل مسيرة شهر، ولم أكن لأعلمك كثير الغواية، لم يدرك شأوك شرير في هذا العصر، خاطبتنا بأكل الخرى، فجرى عليك ماجرى، وألقتك كلاماً كشر أنيابك، ونابك مني - لا أبا لك يا أخا الرذيلة - ما نابك.

(١) من المخطوطة (ج) وهنا سقطت ورقتان من الصورة.

(١) من المخطوطة (٣٢٧٢٤ د. ص).

(١) من المخطوطة (٣٢٧٢٤ د. ص).

(١) من المخطوطة (٣٢٧٢٤ / د. ص).